فانه لما شبه الابل بالقسي واراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين او بنون الخط لان المعنى واحد في الانحنا والرقة وكلنه قصد المناسبة بالاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسي ولعمري لقد اصاب الغرض في هذا المرمى وظريف هنا قول بعضهم في وصف فرس

من جلنار ناضر خده ❊ واذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومنه قول بعضهم في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

انتم بنو طه ونون والضحى ❊ وبنو تبارك والكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا ❊ والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم احسن في مراعاة النظير واتى في البيت الاول بحسن المناسبة بين اسما السور وفي الثاني بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية ويعجبني قول السلامي في هذا الباب

والنقع ثوب بالنسور مطرز ❊ والارض فرش بالجياد مخمل

وسطور خيلك انما الفاتها ❊ سمر تنقط بالدماء وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطرز وبين الفرش والخمل وبين السطور والالفات والنقط والشكل ومثله قول ابي العلا

دع اليراع لقوم يفخرون بها ❊ وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت ❊ مجدا اتت بمداد من دم هدر

وابو العلا ايضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد وغاية الغايات في هذا الباب قول بديع الزمان الهمداني من قصيدة يصف فيها طول السرى

كم الله من عزم اجوب جيوبه ❊ كاني في اجفان عين الردا كحل

كان السرى ساق كان الكرى طلا ❊ كانا له شرب كان المنا نقل

كانا جياع والمطي لنا فم ❊ كان الفلا زاد وكان السرا اكل

كان ينابيع الثرى ثدي مرضع ❊ وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل

كانا على ارجوحة في مسيرنا ❊ لغور بنا تهوي ونجد بنا تعلو

منها في المديح ولم نخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كان فمي قوس لساني له يد ❊ مديحي له نزع به املي نبل

كان دواتي مطفل حبشية ❊ بناني لها بعل وتغشى لها نسل

كان يدي في الطرس غواص لجة ❊ به كلمي در به فهمي تعلو

النظر

انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المفلق الذي ما دخل الى بيت الا واسكن فيه ما يلايمه من المناسبات البديعة نعم هذه الغايات التي تقف دونها فحول الشعرا وهذا الامام المتقدم الذي صلى الحريري خلفه واشار اليه في مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ❊ بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ❊ بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذي سبق الحريري الى نظم المقامات وسبك العلوم في تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريري واستعمل بعض اسما مقاماته وقفا اثر عيسى بن هشام بالحارث بن همام وعارض طرح الاسكندري بما نسجه ابوزيد السروجي وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعياش هذه السقاية رجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة في مراعاة النظير فمن المستحسن في هذا النوع قول بعضهم في غلام معه خادم يحرسه

ومن عجب ان يحرسوك بخادم ❊ وخدام هذا الحسن من ذاك اكثر

عذارك ريحان وثغرك جوهر ❊ وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذ الوجه لمصابيح هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر لملايمة اسما الخدام فلو ذكر شيا مع غير مناسب كان نقصا وعيبا وان كان جايزا فانهم عابوا على ابي نواس قوله

وقد حلفت يمينا مبرورة لا تكذب ❊ برب زمزم والحوض والصفا والمحصب

فالحوض هنا اجنبي من المناسبة لانه ما يلايم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيمة ومثله في عدم المناسبة قول كميت

وقد راينا بها حورا منعمة ❊ بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا ان الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما يلايم ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد ويعجبني من ملايمة التناسب في مراعاة النظير قول العلامة ابي بكر ابن اللبانة في موشح

بعضي يخاصمني في بعضي ❊ جسمي مقيم وقلبي يمضي

وكيف اسلو وبدري الارضي ❊ يدير في الاقحوان الغضي

وردية سرقت انفاسه ❊ بالآلماس ❊ رقت فكانت كمثل الدمعه ❊ في جفن كاسي

انظر ما احلى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجلب القلوب وانتشا الاذواق

Copyright © King Saud University